الأهرام

المصدر: السياسة الدولية

التاريخ: يناير ١٩٨٠م

دراسات وأبحاث

النهضة الاسلامية في الاتحاد السوفيتي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

"يا مسلمي روسيا، لقد هدم القياصرة مساجدكم وجوامعكم، واستهزأوا بمعتقداتكم وتقاليدكم، ايدوا الثورة!"

كان هذا من نداءات ثورة اكتوبر ١٩١٧ الموجهة الى مسلمي روسيا. من هم هؤلاء المسلمون الذين وجه اليهم لينين وستالين في ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩١٧ مثل هذه النداءات الحماسية. كان هؤلاء ستة عشر مليونا من مواطني الامبراطورية الروسية اي عشر سكانها. ولكنهم كانوا مواطنين من الدرجة الثانية يتمتعون بحقوق سياسية محدودة.

اكثريتهم من السنيين المختلطين بالشيعة في القفقاس وعلى حدود افغانستان. ويعيش هؤلاء المسلمون حول مؤسساتهم ويمارسون تقاليدهم الدينية والقومية. لم يكن هؤلاء سوى قوة مساندة للثورة البولشفية في بداية الامر.

بعد ان انتصرت ثورة اكتوبر في روسيا اعتقد لينين ان حركة ثورية واسعة ستجتاح الشرق الاسلامي وتقضي على الاستعمار الذي كان ما يزال في اوج عنفوانه. وكانت الاضطرابات التي حصلت في تركيا وايران آنذاك مبررا لهذه الامال. ولذلك كان لا بد من استخدام المسلمين في الاتحاد السوفيتي كحلفاء و نموذج لهذه الحركة الثورية. ولهذا فتح البلاشفة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢١ ابواب الحزب الشيوعي للمسلمين الذين تمتزج لديهم افكار التحرر الوطني والتجديد الاسلامي بالماركسية.

وقام سلطان غالييف التتري بوضع نظرية هذا التكيف بين الافكار الماركسية والحقائق الاسلامية وقام الجيش الاحمر في شمال ايران بدعم الجمهورية الاشتراكية السوفيتية "غيلانية" التي كان يرئسها ملا شيوعي هو ميرز اكوتشك خان.

ولكن البلاشفه اكتشفوا بسرعة، بعد مؤتمر باكو في ايلول ١٩٢٠ خطورة هذا المزج بين الشيوعية والاسلام، وخرج المسلمون السوفييت عن طاعتهم فقد زعم سلطان غالييف انه هزم الشيوعية من داخل الحزب كما كان يفعل الثوار الباسماتشي (الثوار الحفاة)، الذين انشأوا حرب عصابات حقيقية في آسيا الوسطى استمرت بنشاطها حتى نهاية العشرينات من هذا القرن. ومنذئذ حصلت القطيعة.

وفي عام ١٩٢١ تخلى البلاشفه عن محاولة استخدام الاسلام، واتجهوا الى تدمير عقيدة الفرد و حياته الخاصة. ولكنهم يعرفون مدى تغلغل الاسلام في الحياة الاجتماعية والاخلاقية لمعتنقيه لذلك لجأوا الى الصبر والحذر في مكافحة العقيدة الاسلامية. فبدأوا بالقضاء على المؤسسات الاسلامية وصادروا الاوقاف والغوا المحاكم الشرعية الاسلامية واغلقوا المدارس والمعاهد الدينية.

وفي عام ١٩٢٨ شنت الدولة السوفيتيه حربا عنيفة على الاسلام. وشنت الدعاية السوفيتية هجوما شديدا على العقيدة الاسلامية معتبرة إياها

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

نتاج الاقطاعية التجارية العربية في الحجاز ويهدف شن الحروب على الاقطار المجاورة لنهبها.

وصدرت تعليمات رسمية بمنع الصيام والحج الى بيت الله الحرام والزكاة. ووصم رجال الدين بتهمة الطفيلية واللااخلاقية المعادية للثورية. واضطر المؤمنون من المسلمين الى اخفاء ما يؤمنون به، بعد ان اغلقت ابواب المساجد وظهر للبلاشفه ان الاسلام قد مات في الاتحاد السوفيتي، وحل محل المسلمين مواطنون سوفييت يؤمنون بالماركسية.

غير ان الحرب العالمية الثانية ونجاحات الجيش الالماني واساليب القمع التي مورست ضد المسلمين في القفقاس دفعت ستالين الى تقديم بعض التنازلات للمسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات الاخرى. فافتتحت الجوامع من جديد واعترفت السلطة السوفيتية بمفتي طشقند. غير ان تأثير هذه التنازلات في الاوساط الاسلامية كان محدودا وضعيفا. واخذ المسنون يترددون على الجوامع. اما الجيل الجديد

المحروم من اية تربية اسلامية فلا يعرف شيئا عن الاسلام. كما ان اللغات المحلية التي كانت تكتب بالحروف العربية اصبحت تكتب بالحروف اللاتينية في العشرينات من هذا القرن ثم بالحروف السيريلية في عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٠. ولكن اي مسلمين هؤلاء الذين لا يعرفون قراءة القرآن؟

وشهد عام ١٩٥٦ نقطة تحول جذرية في السياسة الاسلامية للاتحاد السوفيتي. اذ اعتقد خروتشيف، كما ظن لينين عام ١٩١٨، ان العالم الاسلامي قد يقدم لبلاده امكانيات واسعة للنشاط السياسي. واعتقد مثل لينين ايضا، ان مسلمي الاتحاد السوفيتي يشكلون رديفا ثمينا وعونا مهما لسياسته العالمية. واعتقد انه لاخطر من استخدام الاسلام السوفيتي الذي لم يغد سوى اثر فولكلوري في الاتحاد السوفيتي. فقد فتح ابواب الاسلام السوفيتي للعالم الاسلامي الخارجي الراغب في التحديث مع الحفاظ على اصالته، باعتبار ان التجربة السوفيتية قد ضمنت التوافق والانسجام بين الاسلام والشيوعية.

وخلال السنين المتوالية اخذت وفود اسلامية من الشرق الاوسط وافريقيا وبقية العالم الثالث تفد الى اسيا الوسطى، ومشاهدة جامعاتها وانظمة الري فيها والمساجد والمركز الروحي في طشقند حيث يشرح لهم المفتي ان بامكان الانسان ان يكون شيوعيا مع الحفاظ على عقيدته الاسلامية، وان بامكان الاسلام ان يحتل مقاما جوهريا في عالم التحديث. ولتطوير هذه السياسة اوقفت الدولة حملاتها المعادية للدين واغمضت عيونها عن مظاهر الحياة الاسلامية بالمسلمين السوفييت.

وبارتفاع المسلمين السوفييت الى مقام الحلفاء للحكم، وبربطهم المستمر بابناء المسلمين في العالم

www.ethraadl.com

الخارجي، وتقديمهم للخارج كنموذج للتقدم المادي والروحي. استفاد هؤلاء من الوضع الجديد ونشأ لديهم نوع من الاعتزاز واصبحوا قوة جديدة يحسب حسابها.

لا شك ان السلطة السوفيتية، تكرر دوما ان الاسلام كدين لا يمارسه سوى ثلاثة ملايين عجوز ذوي ثقافة متدنية. وان ذلك مجرد تركة من الماضي. ومن اجل اهداف دعايتها الخارجية منحت مفتي طشقند الحرية في ان يوجه نداءاته الى اخوانه في الشرق الاوسط وافريقيا يقول فيها ان الاتحاد السوفيتي بلد مسلم!

يزيد عدد المسلمين السوفييت اليوم عن خمسين مليون نسمة. وقليلون منهم يترددون على الجوامع في اوقات الصلاة، ولكنهم ما يزالون يعتبرون المساجد مراكز للحياة الاجتماعية. فهم يميزون انفسهم عن غيرهم بانهم مسلمون وان كانوا لا يمارسون العبادات الاسلامية.

غير ان هذا الولاء للاسلام يستهدف تمييزهم كمجموعة بشرية تتجاوز الفروق اللغوية والجغرافية باعتبار ان لها تراثا تاريخيا مشتركا وقيما مشتركة. وليظهر هؤلاء المسلمون ارتباطهم كمجموعة بشرية متميزة، يسجلون ابناءهم كمسلمين ويمارسون موقفا معينا من نسائهم.

فهل ذلك مجرد تمسك بالتراث القديم، ام هو مظهر فولكلوري؟ كلا!

ولعلنا ندرك اذن ما قد تثيره الحركات الاسلامية في الدول المجاورة للاتحاد السوفيتي وبخاصة ايران وافغانستان، من ردود فعل لدى المسلمين السوفييت.

الم يستخدم هؤلاء المسلمون كخبراء فنيين ومستشارين عسكريين في افغانستان من اجل التاكيد على ان الاتحاد السوفيتي دولة اسلامية؟

ان الاتصال الذي قام عام ١٩٥٦ بين الاسلام السوفيتي والاسلام الخارجي قد اخرج المسلمين السوفيت من عالم النسيان ومن سباتهم العميق.

واعاد الحياة للاسلام الذي كاد يموت في الاتحاد السوفيتي، واصبحت آسيا الوسطى والقفقاس تتمتعان بوضع متميز من حيث التنمية الاقتصادية والاجتماعية. واهمية هذه النهضة التي يشهدها الاسلام عبر العالم، لها صلة بالاسلام الذي يشهد بعثا وازدهارا في مجتمعات متعلمة.

ومتطورة ماديا في الاتحاد السوفيتي، والتي يتعذر على الحكومة السوفيتية ان تقضي عليها لانها اصبحت عنصرا مهما في سياستها الخارجية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

أن الاسلام في الإتحاد السوفيتي، هوية وطنية وثقافيةللذين يعتنقونه، ان هذه العقيدة هي التي تربطهم بالاجداد وبالارض التي يعيشون عليها. هذا الولاء للاسلام والصلة بالعالم الاسلامي قويان جدا اليوم في الاتحاد السوفيتي. اذ نرى الكوادر الشيوعيه الملحدة تختلط في الاحتفالات الدينية ويطالبون في ان يدفنوا في المقابر الاسلامية.

كما يلاحظ نمو الطرق الدينية في القفقاس هذه الطرق التي لعبت في الماضي دورا مهما في روسيا وكانت وراء الحركات المعادية للشيوعية في المنطقة خلال عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية